كثرة الغلة بقوة الثور

عمل الروح القدس في حياة الرسل والقديسين والشهداء هو عمل مبهر وأكثر ما يثير العجب فيه هو تنوعه وفيضه بغير كيل. فهوذا شهيد يحتمل العذاب بضعة سنين، ومتوحد لا يرى وجه إنسان، وقديس يعطيه الروح أن يستغني عن النوم من أجل البقاء في صلاة دائمة، وآخر يطوي الأيام صوماً، وثالث يقضي خمسة عشرة سنة في الجب يسبح الله، وآخر يبيع نفسه عبداً ليتصدق بثمن عبوديته... ويعوزنا الكثير من الوقت لكي نسرد عجائب وعظائم عمل الله في قديسيه. والسؤال الشائع الذي يسأله الكثيرون: ما هو سر القديس؟ كيف وصل أولئك إلى هذه الدرجات العليا من الإمتلاء من فيض الروح القدس؟ ما هو العامل الرئيسي الذي يجذب الروح القدس ليثمر في هذا ثلاثين بينما يثمر في ذاك ستين وفي آخرمئة؟

الإجابة السهلة الشائعة التي تخدر ضمائر الكثيرين وتبقي عليهم أسرى في فخ التهاون والتراخي هي: هذه المواهب العظمى تخص القديسين فأين نحن الضعفاء الخطاة من هذه القامات العليا؟ يا للعجب من خداع عدو الخير!!! هل عند الله محاباة؟ هل معمودية القديسين تختلف عن معموديتك حتى سكن فيك روح قدس يختلف عن الروح القدس الذي سكن فيهم؟ هل الله الذي قال: *"إسألوا تعطوا، أطلبوا تجدوا، إقرعوا يفتح لكم"* (مت٧:٧) صادق من جهة القديسين وكاذب من جهتك؟ إن كنت أنت كأب تعرف أن تحب أولادك بالتساوي ألا يعرف الله أن يفعل ذلك؟ هل امتدت الطبقية والعنصرية والتمييز التي تحكم عقول البشر إلى عقل الله؟

"حاشا! بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً" (رو٣:٤). حاشا لله القدوس كلي المحبة والعدل والرأفة أن يكون ظالماً! فالروح القدس مستعد في كل لحظة أن يعمل عجائب في كل إنسان لكن ليس بدون إرادته. الله الذي قال: *"إفغر فاك*

فأملأه" (مز٨١:١٠) لا يستطيع أن يملأك بفيض روحه القدوس بينما أغلق "روح الإكتفاء" فمك.

أنظر ماذا يقول الكتاب في هذا الشأن. *"الكثير تكثر له نصيبه والقليل تقلل له نصيبه"* (عد٢٦:٥٤) هكذا كان أمر الله لموسى. *"أنت شعب عظيم ولك قوة عظيمة لا تكون لك قرعة واحدة"* (يش١٧:١٧) هكذا خاطب يشوع بيت يوسف، أفرايم ومنسى، أثناء توزيع أنصبة كل سبط من أرض الموعد. وسليمان الحكيم في أمثاله يقول: *"حيث لا بقر فالمعلف فارغ* ***وكثرة الغلة بقوة الثور"*** (أم١٤:٤). وقيل عن أحشويرش الملك أنه على الرغم من كرمه في ولائمه إلا أنه: *"كان الشرب حسب الأمر. لم يكن غاصب لأنه هكذا رسم الملك على كل عظيم في بيته أن يعملوا* ***حسب رضا كل واحد"*** (أس١:٨). *"تفتح يدك فتشبع كل حي رضى* **(ما يرضيه)"** (مز١٤٥:١٦).

لنقف الآن أمام ضمائرنا متسائلين: ما هو الذي يرضيني والذي بحسب معياره سآخذ من الله؟ هل سأكتفي بخرنوب الخنازير أم سأطلب خبز الأمراء أبناء الملك؟ ألا يكفيني قعود في هذا الجبل الذي للتراخي والتهاون، ودوران بهذا الجبل الذي لآفة الإكتفاء (تث ١:٦، ٢:٣)؟ هوذا نحن في موسم الصوم فدعونا لا ننصت لصوت العدو المخادع الذي يقنعنا أنه يكفيك أن تصوم جزءاً من الصوم، يكفيك أنك تصوم الصوم كله فلا داعٍ للصوم الإنقطاعي، يكفيك أن تحضر قداساً واحداً في الأسبوع، يكفيك أن تقرأ إصحاحاً واحداً من الكتاب المقدس، يكفيك أن تصلي باكر ونوم، يكفيك ... يكفيك... يكفيك...!!

إن انهزمت أمام "حرب يكفيك" فإعلم أن الله سيجيبك: "يكفيك إذاً أن تبقى معدوداً بين صفوف العبيد لا الأبناء". لكنك إذا نهضت الآن طالباً لنفسك آية، معمقاً طلبك أو مرفعاً إياه إلى فوق (أش١٠:١١) فإنك ستسمع صوته: *"يوجد أيضاً مكان"* (لو١٤:٢٢).